أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي

د. هيفاء سعدون مجيد¹

أ. عبدالرحمن موسى حسين محمود²

moheamad861@gmail.com

abdogareeb18@gmail.com

ملخص:

تعتبر الفلاحة من أهم الموارد الاقتصادية لأي خلافة أو دولة قامت في العصور القديمة، وخاصة الخلافة العباسية حيث اعتمدت على الفلاحة بصورة كبيرة، مما كان له الأثر على التداول النقدي بين انتعاش التداول وانهيائه وفقد قيمة النقود والتعامل بها كما حدث في ثورة الزنج، ومع حدوث الكوارث الطبيعية حيث تكون المقايضة افضل وسيله للتداول في المجتمع وتفقد النقود قيمتها.

الكلمات الدالة: تداول - فلاح - نقود - زنج - بقط - مقايضة.

1 دكتوراة في التاريخ الإسلامي كلية التربية جامعة تكريت. دولة العراق.

2 مفتش اثار بوزارة الاثار. باحث في مرحلة الدكتوراة بكلية الاثار بقنا.

(أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي)

أ. عبدالرحمن موسى حسين محمود

د. هيفاء سعدون مجيد

Abstract:

Agriculture is one of the most important economic resources for any caliphate or state that was established in ancient times, especially the Abbasid caliphate, where it relied heavily on agriculture, which had an impact on monetary circulation between the recovery and collapse of circulation and the loss of the value of money and dealing with it as happened in the Zinj revolution, and with the occurrence of disasters Natural, where barter is the best way to trade in society and money loses its value.

Keywords: trading - peasant - money - zing - cats - barter.

التمهيد

شكل التداول النقدي أهمية كبيرة في دراسة في دراسة الأحوال الاقتصادية للخلافة العباسية، وأهمها الفلاحة وأعمالها، ويأتي مفهوم التداول النقدي كالآتي:-

ومفهوم التداول لغوياً: جاء في لسان العرب: «صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دُولَات ودُولٌ»⁽¹⁾. وقال أبو عبيدة: الدولة، بالضم، اسم للشيء الذي يُتداول به بعينه، والدولة، بالفتح، الفعل. وفي حديث أشراف الساعة: إذا كان المَعْنَمُ دُولاً⁽²⁾، جمع دولة، بالضم، وهو ما يُتداول من المال فيكون لقوم دون قوم. وقال الزجاج: الدولة اسم الشيء الذي يُتداول، والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال⁽³⁾، ويقول ابن فارس: «الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكانٍ إلى مكانٍ»⁽⁴⁾، وقولهم: (دواليك) كأنه مأخوذ من المداولة وهي المناوبة، فـ (دواليك) تنشئة (دوال)،

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة: (د و ل).

(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حول المسخ والخسف، حديث رقم: (2210)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، د.ت، ص 606.

(3) بن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري)، لسان العرب، ط1، المجلد الحادي عشر، منشورات محمد بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 302؛ ج11، ص 252.

(4) الرازي، أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة: (د و ل).

كما أن (حواليك) تنثية (حوال)، و (دوال) وقع موقع (مداولة)، والمراد الكثرة، لا نفس التنثية، قال الشاعر:

إذا شق برد شق بالبرد مثله دواليك حتى ليس للبرد لابس
فـ«(دواليك) في البيت في موضع الحال، ومعناه: إذا شق برد شق بالبرد مثله
دواليك، أي: متداولين. وذلك أن العرب كانت إذا أرادت عقد تأكيد المودة بين
الرجل والمرأة لابس كل واحد منهما برد الآخر، ثم تداولوا على تخريقه هذا مرة،
وهذه مرة، فهو يصف تداولها على شق البرد حتى لا يبقى فيه ملبس»⁽¹⁾، يقول
الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾⁽²⁾.

وقد قيل في مدح خلافة بني العباس:

تداولوها يا بني العباس تداول الأكف بالأمراس⁽³⁾
وقال الراغب: «دول: الدَوْلَةُ والدُّوْلَةُ واحدة، وقيل الدولة في المال والدولة في
الحرب والجاه. وقيل الدولة إسم الشيء الذي يتداول بعينه، والدولة المصدر»⁽⁴⁾.

(1) بن يعيش، موفق الدين أبي البقاء: شرح المفصل للزمخشري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2001م، ج1، ص293، 294.

(2) سورة آل عمران: 140.

(3) المرزباني، محمد بن عمران: معجم الشعراء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1402هـ/1982م، ص479.

(4) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، بيروت، دار المعرفة، ط7، 1435هـ/2014م، ص180.

أما اصطلاحياً فهي تشبيه حركة تداول الأخبار بحركة تداول العملة من الصور المشتركة في عملية تداول كل منها بين كافة أفراد المجتمع⁽¹⁾، وكذلك تعني انتقال الشيء من جهة إلى جهة أخرى، بحيث يكون متبادلاً ومشاعاً سواء كان ملموساً، أو مسموعاً، أو مشاهداً، أو وصفاً، مباشراً أو بواسطة⁽²⁾.

أما النقدي فتعني في اللغة : نقد مفرد النقود ، وهو يطلق في اللغة على عدة معان شأنه في ذلك شأن كثير من الألفاظ التي تتعدد معانيها ، منها أنه :
1- العطاءُ المُعجل : فَالنَقْدُ خِلافُ النَّسيئةِ ، يقال : نَقَدَ فلاناً وله الثمن : أعطاه إياه نقداً معجلاً ، ونقد له الثمن : أي عَجَلَهُ لَهُ ، وَعَجَلَ لَهُ النَقْدُ ، أي أَقْبَضَهُ لَهُ ، وَنَقَدَ لَهُ الدَّرَاهِمَ : أي أعطاه إياها فانقَدَّها ، وانتقد الدَّرَاهِمَ : أي قَبَضَهَا ، والفاعل ناقد ، والبيعُ بالنقد : هو البيعُ المقبوض الثمن⁽³⁾.

ومنه : ما روي عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ فَذَّ أَغْيَا ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ ، قَالَ : فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَذَعَا لِي ، وَضَرَبَهُ ، فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ ، قَالَ : بَعْنِيهِ بِوُقْيَةٍ ، قُلْتُ : لَا ، ثُمَّ قَالَ :

(1) ريماء محمود الزيودي: نقل الأخبار وتداولها في المجتمع الإسلامي أيام الدولة الأموية، الأردن، دار يافا، ط1، 1436هـ/2015م، ص11.

(2) عبدالرحمن موسي حسين: التداول النقدي في اقليم برقة خلال العصر الفاطمي (301 - 567 هـ / 913 - 1171 م)، بحث منشور بالمجل العلمية لكلية الآداب، المجلد 10 ، العدد 4 ، جامعة دمياط ، مصر ، 2021م، ص 6-9.

(3) ابن منظور: لسان العرب ، ج 1، ص 90 ، ج 2، ص 22 ، ص 299 ، ج 3، ص 425 ؛ الزبيرى (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ، 1414هـ، ج 4، ص 492 ، ج 6، ص 40 ، ج 9، ص 230.

بِعْنِيهِ ، فَبِعْتُهُ بِوَقِيَّةٍ ، وَاسْتَنْتَيْتُ عَلَيْهِ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي ، فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ ، فَتَقَدَّنِي ثَمَنَهُ (1) ، ثُمَّ رَجَعْتُ ، فَأَرْسَلَ فِي أَثَرِي ، فَقَالَ : أَتُرَانِي مَا كَسْنُكَ (2) لَاخُذْ جَمَلَكَ ، خُذْ جَمَلَكَ ، وَدَرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ (3).

2- تَمْيِيرُ الدَّارِهِمِ وَإِخْرَاجُ الزَّيْفِ مِنْهَا (4) : فَيُقَالُ دِرْهَمٌ نَقْدٌ جَيِّدٌ : أَي لَا زَيْفَ فِيهِ ، وَنَقْدُ الدَّرَاهِمِ وَالذَّنَانِيرِ نَقْدًا وَتَتَقَادَا : إِذَا مَيَّرَ جَيِّدَهَا مِنْ رَدِّ يَنْهَا ، وَكَذَا تَمْيِيرُ غَيْرِهِ ، وَانْتَقَدَ الدَّرَاهِمُ وَغَيْرُهَا نَقْدًا : أَخْرَجَ مِنْهَا الزَّيْفَ ، وَكَذَا نَقَدْتُ الدَّرَاهِمَ وَانْتَقَدْتُهَا إِذَا أَخْرَجْتُ مِنْهَا الزَّيْفَ ، فَالْنَقْدُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ حَالِهِ فِي جُودَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ : دِرْهَمٌ نَقْدٌ ، وَالدَّرْهَمُ نَقْدٌ : أَي وَازِنٌ جَيِّدٌ ، كَأَنَّهُ قَدْ كَشَفَ عَنْ حَالِهِ فَعَلِمَ (5).

(1) فَتَقَدَّنِي ثَمَنَهُ : أَي أَعْطَانِيهِ نَقْدًا مُعْجَلًا . انظر : بن منظور : لسان العرب ، ج 3 ، ص 425 ؛ الزبيرى : تاج العروس ، ج 9 ، ص 230 .

(2) الصنعاني (محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني) : سبيل الإسلام ، دار الحديث ، القاهرة ، (ب.ت) ، ج 3 ، ص 8

(3) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ : كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ ، بَابُ بَيْعِ الْبُعِيرِ وَاسْتِثْنَاءِ رُكُوبِهِ ، ج 3 ، ص 122 ، حديث رقم (715) .

(4) الزَّيْفُ مِنْهَا : أَي الْمَغْشُوشُ ، وَالزَّيْفُ مِنْ وَصْفِ الدَّرَاهِمِ ، يُقَالُ : زَافَتِ الدَّرَاهِمُ زَيْفًا : أَي ظَهَرَ فِيهَا غِشٌّ ، وَدِرْهَمٌ زَيْفٌ ، أَي زَائِفٌ ، بِمَعْنَى مَغْشُوشٌ ، وَزَافَتِ عَلَيْهِ دِرَاهِمُهُ : أَي صَارَتْ عَلَيْهِ مَرْدُودَةٌ لَغْشٍ فِيهَا ، وَزَيْفَ النُّقُودِ وَغَيْرِهَا : سَكَا مَغْشُوشَةً ، وَالزَّيْفُ مُفْرَدٌ وَالْجَمْعُ زَيْوْفٌ . انظر : بن منظور : لسان العرب ، ج 9 ، ص 142 ، 143 .

(5) بن منظور : لسان العرب ، لسان العرب ، ج 3 ، ص 425 ؛ الزبيرى : تاج العروس ، ج 9 ، ص 230 .

3- العَمَلَةُ من الذَّهَبِ أَوْ الْفُضَّةِ وَغَيْرَهُمَا مِمَّا يُتَعَامَلُ بِهِ⁽¹⁾.

أما كلمة النقدي اصطلاحاً فهي تعني النقود وذلك من خلال وظائفها ،
 والمتمثلة في : مقياس للقيم ، وسيط للتبادل ، مخزن للقيم ، معيار للمدفوعات
 الآجلة ، وسيلة لإبراء الذمم⁽²⁾، وتأتي معنى النقدي إنها أثمان المبيعات وقيم
 المتلفات والديات ، ووسيط بين السلع وحاكم عليها ، وأن من ملكها فكأنما ملك
 كل شيء ، وأنها لا تتراد لذاتها بل لوظائفها التي تؤديها في حياة الناس⁽³⁾ ، أنها
 : الشيء الذي يستخدم من قبل الأفراد ، ويلقى قبولاً عاماً كوسيلة للاستبدال ،
 وتستخدم وسيلة للتبادل ، ومقياساً للقيم ، ومستودعاً للثروة ، كما تستخدم وسيلة
 للمدفوعات الآجلة⁽⁴⁾، وهذا هو المعنى المراد بالنقد والنقود ، وهو المعنى الذي
 يعيننا في هذا البحث.

(1) على جمعة محمد: . المكايل والموازن الشرعية ، القدس للإعلان والنشر والتسويق ،
 القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2001م، ص71.

(2) أحمد زكي بدوي ، معجم المصطلحات الاقتصادية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،
 دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1985 ، ص195؛ يوسف كمال محمد ، فقه الاقتصاد
 النقدي، دار القلم للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط4 ، 2002 ، ص 30 .

(3) زكي زكي زيدان: تغير القيمة الشرائية للنقود الورقية وأثرها علي الحقوق والالتزامات
 في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، دار الكتاب القانوني ، 2009م ، ص 10 .

(4) عوف محمد الكفراوي: النقود والمصارف في النظام الإسلامي ، دار الجامعات المصرية ،
 إسكندرية ، ب.ت ، ص 13 .

المبحث الأول: اثر الفلاحة في ازدهار التداول النقدي بالعراق خلال العصر العباسي

مثلت الفلاحة المصدر الرئيسي والاساسي في ازدهار التداول النقدي مما تجلبه من حبوب وغللات وماشية ساهموا في استقرار العراق واحواله الاقتصادية خلال العصر العباسي , حيث اشتهرت مدينة واسط بصناعة البسط الكبيرة والستائر، التي كانت تصدرها إلى مدن العراق الأخرى⁽¹⁾، وعرفت واسط بصناعة الأقمشة الثمينة التي كانت تصدرها إلى أسواق العراق، كما أنها كانت تنتج كثيراً من الغلال الزراعية وبخاصة الشعير والرز والسمسم والتمر فتصدرها إلى مناطق أخرى⁽²⁾، وإبان توسع مدينة واسط دمجت أحيائها السكنية مع مدينة كسكر المشهورة بإنتاج القمح، والذي كان يزود كثيراً من أسواق مدن العراق، ويظهر مدى النشاط التجاري في مدينة واسط انه كانت تقام بها احتفالات

(1) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج1، ص108؛ الألوسي، عادل محي الدين، تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1984م، ص242

(2) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت(255هـ/868م): كتاب التبصر بالتجارة، نشر وتعليق السيد حسن حسني عبد الوهاب، ط2، القاهرة، 1354هـ/1935م، ص32؛ الثعالبي، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأنباري وحسن الصيرفي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1379هـ/1960م، ص111؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، بيروت، لبنان، 1974م، ص161.

عظيمة عند ظهور بشائر المحاصيل⁽¹⁾، وخلال العصر العباسي أصبحت أسواق العاصمة تعتمد اعتماداً كبيراً على ما تنتجه واسط من غلال، وأن كان نتاج واسط من المحاصيل يثير حفيظة الخليفة، لأن ذلك كان يؤثر في كمية البضائع في أسواق بغداد، وحينئذ تجنح أسعارها نحو الصعود⁽²⁾.

واشتهرت الحيرة بتجارة الخمر والفواكه والرياحين، ومن ميسان راجت تجارة الأنماط والوسائد، ونشطت التجارة في مدينة كربلاء فقصدها التجار من مدن عراقية كثيرة⁽³⁾، واشتهرت مدينة الموصل بتصدير الأخشاب إلى كثير من مدن العراق. وإبان العصر العباسي أصبحت عاصمة الخلافة، ومدن عراقية أخرى، تعتمد اعتماداً كبيراً على ما كان يردها من بضائع من ولاية الموصل⁽⁴⁾، وبخاصة المواد الغذائية، بحيث أن منع تصديرها من الموصل إلى العاصمة، لأي سبب كان، كان يؤدي إلى شح هذه المواد في الأسواق، وحلق أزمة اقتصادية، وهذا يؤول بدوره إلى ارتفاع الأسعار وهياج السكان⁽⁵⁾.

(1) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح. ت (284هـ/897م): كتاب البلدان، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته، تحقيق م.ج. ديه غويه، بريل، ليدن، 1892م، ص32.

(2) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص161.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص128؛ المسري، تجارة العراق، ص197.

(4) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص32؛ الثعالبي، لطائف المعارف، ص111؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص161.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص140؛ الكبيسي، أسواق بغداد، ص191.

وقد اشتهرت كثير من مدن العراق بتجارة المواد الغذائية خاصة الحبوب والتمر والفاكهة، كما كانت تجارة الجمال والأغنام من أبرز أنواع التجارة بالعراق⁽¹⁾، ويأتي التمر في مقدمة السلع التي كانت البصرة تصدرها إلى أسواق كثيرة من العراق وقراه، وكان سوق التمارين من أول الأسواق التي بنيت في البصرة، وكان لتجار البصرة وكلاء في مدن العراق الرئيسية يبيعون لهم تجارتهم كما أن بعض تجارها استوردوا كميات من القمح لتغطية النقص الذي كانت تشكو منه الأسواق من هذه المادة كما استوردت البصرة بعض المواد الغذائية كالفواكه والخضراوات من المناطق المجاورة⁽²⁾.

وتميزت مدينة الكوفة بتجارة الزيوت المستخرجة من السمس أو بذور الكتان والقطن وهو الذي ساعد على التداول النقدي في المدينة، وكان للزياتين سوق كبيرة قرب مقر إمارة الكوفة، كما أنها كانت تزود أسواق بغداد بكميات كبيرة من الطعام⁽³⁾، حيث يذكر أن الكوفة صدرت إلى أسواق العاصمة نحو خمسمائة كر من الحبوب والكر مكيال بابلي الأصل، وكان يساوي في العراق ستين قفيزاً⁽⁴⁾.

(1) الخطيب البغدادي، بغداد، ج1، ص79، 113، 114؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج6، ص153.

(2) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص160-161.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص146.

(4) الطبري، تاريخ، ج8، ص405؛ مسكوية، تجارب الأمم، ج1، ص146.

وكان التمر عنصراً أساسياً في تجارة الكوفة، وكان للتمارين سوق خاص في هذه المدينة، وصدرت الكوفة إلى سائر مدن العراق الوشي والخز والفاكهة والأدهان⁽¹⁾ واشتهرت الكوفة بتجارة الورق، ولكن مدناً عراقية أخرى أخذت تزاحمها في هذه التجارة⁽²⁾.

وتشير النصوص إلى استمرار انحدار سفن وزوارق تجارية محملة بالقمح والدقيق والشعير وغيرها من البضائع إلى العاصمة بغداد وكان الفائض منها يعاد تصديرها⁽³⁾، ويذكر أنه انحدر من الموصل مائة وخمسون زورقاً فيها دقيق وحنطة وشعير وسمسم وعسل وثياب، وتؤكد مصادر أن أسواق بغداد فقط كان يردها من الموصل عشرون ألف رطل من العسل. واشتهرت ولاية الموصل بتجارة الستور، والفحم، والشحوم، والمن، وحب الرمان والقيصر والحديد والسكاكين والسلال وثياب الصوف، وصدرت سنجار وما جاورها اللوز والبندق والسماق والفواكه المقددة والموازين والرصاص، وعرفت مدينة الرقة بتجارة الصابون والزيت⁽⁴⁾، كما صدرت مدينة حران عسل النحل والقطن والموازين، في حين كانت أهم تجارات الجزيرة الفراتية الجوز واللوز والسمن والخيول الجياد والأعشاب والفواكه الرطبة والمقددة والزبيب⁽⁵⁾، وبنفس الطرق البرية والمائية التي ترد عبرها

(1) هنتس، المكايل والأوزان، ص 69.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 128؛ الكبيسي، أسواق بغداد، ص 221.

(3) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص 33؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 161.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 136؛ حوراني، العرب والملاح، ص 207.

(5) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص 26؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 145.

السلع التجارية إلى حاضرة الخلافة العباسية، خرجت منها قوافل محملة بالبضائع المختلفة إلى مدن عراقية أخرى، وأن قسما من تلك البضائع أعيد تصديرها إلى أقاليم أخرى من الدولة وربما اجتازت حدود الدولة العباسية إلى دول أخرى⁽¹⁾.

وجل التجارات التي كانت تخرج من بغداد اشتملت على المنسوجات الصناعية التي راجت في العاصمة، ذلك أن بغداد أصبحت مشهورة بصناعاتها منذ بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كصناعة المنسوجات الحريرية الفاخرة التي تصنع منها الثياب الحريرية بألوان مختلفة والأقمشة القطنية، والعمائم الرقيقة والمناديل بأنواعها، والثياب المشهورة التي كانت تحاك من خيوط القطن والحرير، وكانت هذه البضاعة تصدر من بغداد إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، وتصنع في بغداد أيضا الأزرق التي كانت تغمر أسواق كثير من المدن العراقية⁽²⁾، وكان الأجر⁽³⁾، العراقي مشهورا لدرجة أن كمية منه أرسلت من بغداد إلى القيروان لتزين مسجدها، كما أن الزجاج الوافي كان معروفا خارج العراق. وقد شاهد الرحلة العرب في الكعبة قناديل من الزجاج العراقي تزينها

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص145؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص161؛

الكبيسي، أسواق بغداد، ص191.

(2) محمد كرد علي، تاريخ الحضارة، ص45-46.

(3) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص39؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص129؛ الكبيسي،

أسواق بغداد، ص218.

نفوش جميلة وقد برعت بغداد في صنع الأواني والأقداح الزجاجية⁽¹⁾، ولم تقتصر صادرات بغداد على منتجاتها فحسب، بل أنها صارت تصدر في بعض الأحيان منتجات مدن أخرى، فمنتجات مدينة كسكر كانت تصدر عبر أسواق بغداد⁽²⁾. لقد كان التجار العرب يجلبون المنسوجات والجواهر والمرايا والطيوب إلى بغداد، ثم بعد ذلك يتولى تجار بغداد تصدير ما فاض من هذه السلع إلى خارج حدود الدولة وبذلك أصبحت بغداد مركزاً تجارياً عالمياً، تتحدد فيه أسعار السلع⁽³⁾، وصدرت بغداد الأقمشة القطنية والمنسوجات الحريرية خاصة المناديل والأزر والعمائم، والخزف والأدوات الزجاجية والدهون والمعاجين والأدوية⁽⁴⁾، والحنطة والشعير والأقمشة الصوفية والكتانية والزيت والعود وماء الزعفران، وماء السوس وشراب العنب وزيت البنفسج⁽⁵⁾، وكان تجار بغداد يخرجون تجارتهم من العاصمة إلى واسط والبصرة لغرض عرضها في أسواق تلك المدن، ونتيجة للتطور الاقتصادي والذي تستهدفه أسواق بغداد تأسست عدة شركات وطنية تعمل في تجارة المحصولات العراقية هذه الشركات كانت تأخذ على

(1) نوع من الأجر المحفور الذي تزين به قبب المساجد؛ دوزي، المعجم المفصل، ص31-32.

(2) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص100.

(3) العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص225.

(4) حتى، تاريخ العرب، ج2، ص379.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص128.

عانتها تصدير المواد الفائضة عن حاجته إلى أسواق بغداد، وربما تولت هذه الشركات تصدير مقادير كبيرة من التمور العراقية إلى دول أخرى⁽¹⁾.

والظاهر أن هناك سلعا تجارية كثيرة كانت تصدر من أسواق بغداد إلى خراسان، إذ تشير النصوص أن قافلة واحدة خرجت من مدينة السلام إلى خراسان وكانت فيها سلع تجارية تجاوزت قيمتها ستة آلاف دينار، ويمكننا أن ندرك قيمة البضائع المصدرة من بغداد، أن تاجرا بغداديا صدر أمتعة فلزمه لكري أحماله نحو ألفي دينار، كما أن تاجرا بغداديا آخر ربح بصفقة تجارية واحدة عشرين ألف دينار⁽²⁾، وصدر تاجر بغداد سلعا كثيرة إلى شمال أفريقية، كما وصلت تجارتهم إلى بحر قزوين، وفي مصر كان يقيم تاجر عراقيون عمل بعضهم وكلاء لتجار بغداد⁽³⁾، وكانت توجد في مدينة سمرقند جالية تجارية عراقية كما وجدت جاليات أخرى في كثير من الدول التي يحكمها غير المسلمين، كبلاد الخزر والهند والصين والقسطنطينية وكان في بلاد البلغار بعض الصناع العراقيين⁽⁴⁾، وبلا ريب فإن هذه الجاليات كانت حلقة الوصل مع تاجر بغداد وغيرهم الذين يفدون إلى تلك المناطق مما يسهل أمر إتمام معاملاتهم التجارية في تلك البلاد النائية.

(1) سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ص366.

(2) التتوخي، الفرج بعد الشدة، ج2، ص108.

(3) الطبري، تاريخ، ج8، ص405؛ سلوم، الأهمية الاقتصادية، ص145.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض، ص61؛ اليعقوبي، البلدان، ص27؛ فهد، تاريخ العراق،

ص352.

وقام تجار العراق بنشاط تجاري كبير في البحر فقاموا برحلات بحرية تبدأ من بغداد إلى البصرة، ومنها تبحر السفن في الخليج العربي قاصدة الشرق الأقصى حتى تصل موانئ الهند⁽¹⁾، وخلال هذه الفترة كانت أكثر سواحل المحيط الهندي الآسيوية تحت سيطرة العباسيين، مما فتح المجال أمام العراقيين بأن يتوسعوا في تجارتهم مع الشرق وكان تجار العراق قد ظفروا من حكام الصين بحق رفع مرافعاتهم إلى قاض منهم⁽²⁾.

ونقلت البضائع العراقية إلى بلاد الأناضول والبحر الأسود ووصلت إلى القسطنطينية وخلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بلغت التجارة العراقية عز ازدهارها مع شرق أوروبا، ونفذت إلى روسيا حتى وصلت النقود العباسية إلى شواطئ بحر البلطيق⁽³⁾، ويستدل على حجم المخزون من البضائع في بغداد من أن الخليفة المهدي عندما أراد الحج اشترى مائة وخمسين ألف ثوب دفعة واحدة من أسواق بغداد، وأخذها معه إلى الحجاز ليوزعها في موسم الحج، وكانت من ضمن السلع الصادرة عن أسواق المدينة⁽⁴⁾.

ومن السلع الصادرة عن أسواق بغداد، الزيت الذي كان قد ربح فيه أحد تجار بغداد في صفقة واحدة عشرة آلاف دينار من جراء بيعه لتجار الرقة⁽⁵⁾.

(1) اليعقوبي، البلدان ص34.

(2) البكري، المسالك والممالك، ص49، الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص27.

(3) سالم، السيد عبد العزيز، ص409-410.

(4) جورج، يعقوبي، أثر الشرق في الغرب، ص55-57.

(5) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص330؛ المدور، حضارة الإسلام، ص107.

وأن كثيراً منها في بغداد وأسواقها من طرائف كان ينقل إلى بلاد الأناضول في بعض الأحيان، في الوقت الذي كان المأمون غازياً لبلاد الروم كان الرطب يأتيه من بغداد تباعاً وفي الوقت الذي كان الخليفة المعتصم هناك يحارب الروم قرب عمورية كان النمر يصدر من بغداد إلى تلك الأصقاع، ويبين الدكتور الدوري، أن النصف الأول من القرن الرابع هـ/10م كان زمن عزّ التجارة مع شرق أوروبا وأن المواد المصدرة من الدولة العباسية إلى تلك المناطق كانت كثيرة وأن التجارة العراقية كانت جزءاً هاماً منها⁽¹⁾، ويقول الزهري: "أن جزائر بحر الصين لا تعرف النمر والعنب إلا ما يجلب إليها من بلاد العراق وإيران راج"⁽²⁾، كما عرفت تجارة الخيول خصوصاً بين دول شرق آسيا والعراق وقد استخدمت لنقل البريد وإلى جانب الخيول التي تصدرها العراق⁽³⁾، يذكر ابن خرداذبة البغال والحمير التي سماها القلقشندي بالبرادين⁽⁴⁾.

كل ما سبق من تعاملات ساهمت في ازدهار التداول النقدي نتيجة رواج وازدهار الفلاحة وأعمالها التي حرص عليها الخلفاء العباسيين على ازدهارها.

(1) الهمداني، تكملة، ج 1، ص 9؛ المجالي، المأمون وعصره، ص 261-262.

(2) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 169-170.

(3) آثار البلاد للفرزباني، ص 29؛ الزهري، الجغرافية، ص 18-20،

(4) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 153-154.

المبحث الأول: اثر الفلاحة في تدهور وانهيار التداول النقدي بالعراق خلال العصر العباسي

اثرت الفلاحة في عمليه التداول النقدي ويرجع ذلك لعدة أسباب منها طبيعية ومنها بشرية خلال العصر العباسي , حيث اثرت هذه العوامل في اعمال الفلاحة التي جاء بدوره في انهيار التداول النقدي , ومن هذه العوامل:-

العوامل الطبيعية:-

يتأثر سلوك الإنسان وطريقة حياته بتأثير المناخ عليه، وبالتالي يلاحظ إن هناك علاقة بين المناخ وهذه الكوارث والأوبئة⁽¹⁾، فاختلاف المناخ يؤثر على طبائع أهل كل المدينة وأمزجتهم⁽²⁾، ولهذا صنف بعض الكتب الجغرافية في أمزجة البلدان وأهوائها⁽³⁾.

(1) مهند نافع المختار، الآثار الاقتصادية والسكانية للأمراض المستوطنة والمنتشرة في الأمصار الإسلامية خلال العصور الإسلامية الأولى، بحث منشور في مجلة آداب الرفادين، العدد ٥٠، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، ص ٣٣٧.

(2) المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الشهير بالخطط المقرئزية، القاهرة، (د.ت)، مكتبة الثقافة الإسلامية، ج1، ص ٤٨.

(3) ابن رسته، الاعلاق، ص ٩٩؛ ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، لندن، ١٨٨٤م، ص ١٥٩.

1. الفيضانات

اثرّت الفيضانات على التداول النقدي من خلال ارتفاع الأسعار نتيجة تدهور الفلاحة , حيث أشارت المصادر التاريخية إلى أن فيضان نهر دجلة ضرب بغداد في سنة (186 هـ / 802 م) في أيّ اما الخليفة هارون الرشيد (170- 193 هـ/ 786- 809م) حيث زادت دجلة زيادة "بينه لم يُر قبلها مثلها ونزل الرشيد بأهله وحرمه و أمواله إلى السفن"⁽¹⁾ "ومنع الناس من العبور إشفاقاً عليهم وذلك يدل على إن الخطر كان محدقاً بالجانب الشرقي للمدينة"⁽²⁾، ولم يتم ذكر الأماكن التي وصل إليها ماء الفيضانات في تلك السنة، وفي عهد الخليفة المأمون (198- 218 هـ/ 813- 833م) زاد نهر دجلة أيضاً وكان ذلك في سنة 215 هـ/ 831م " حتى صار الماء على ظهور بيوت الرحي من نهر الصراة"⁽³⁾، وذلك في وقت لم يكن تزيد فيه هذه الزيادة وتقطعت لذلك الجسور بمدينة السلام

(1) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973م، ص 27.

(2) أحمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الأديب، بغداد، 1963م، ق 1 ص 280.

(3) وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحول بينها وبين بغداد فرسخ ويسقي ضياع بادورية ويتفرع منه أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمر بقنطرة العباس ثم قنطرة الصبيات ثم قنطرة رحا البطريق ثم القنطرة العتيقة ثم القنطرة الجديدة ويصب في دجلة. أنظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1957م، مج 3 ص 399.

وزاد بعد ذلك أكثر من تلك الزيادة ثم نقص⁽¹⁾، ودمرت من خلال الفيضانات السابقة اعمال الفلاحة التي اثرت بشكل على التداول النقدي حيث أدت إلى غلاء الأسعار.

وروي أنه " في سنة من السنين زاد ماء دجلة فسدت مداخله إلى أرضها لئلا يغرق فارتمع الماء في دجلة وارتفعت معه مياه الآبار وفارت حتى غرقت عدة من الدور"⁽²⁾، وفي سنة 220هـ/ 835م زادت دجلة أيضاً، " وتدفق مياهه إلى ما يجاورها وتعيدها إلى كثير من المحال والدور"⁽³⁾ أما في سنة 270هـ/ 884م فقد انكسرت السدود التي في منطقة نهر عيسى بالجانب الغربي من المدينة فادى ذلك إلى غرق حوالي سبعة آلاف دار من محلات الجانب المذكور⁽⁴⁾، وقد ذكر الطبري ذلك قائلاً وفيها انبثق ببغداد في الجانب الغربي

(1) ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر، كتاب بغداد، صححه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشره وراجعته: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1949م، ص 143.

(2) الكرخي، أبو بكر محمد بن الحسن، كتاب أنباط المياه الخفية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، 1940 م، ص 11.

(3) عواد، ميخائيل، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م، ص 121.

(4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1952م، ص 366.

من نهر عيسى من الياسرية⁽¹⁾ بَنَقُ⁽²⁾ فغرق الدباغون وأصحاب الساج بالكرخ وذكر أنه دق سبعة آلاف دار ونحوها⁽³⁾، وفي سنة 292هـ/ 904م " زادت دجلة زيادة لم يُرَ مثلها حتى خربت بغداد وبلغت الزيادة إحدى وعشرون ذراعاً⁽⁴⁾، وروي أنه في سنة 328هـ/ 939م " اتصلت الأمطار وزادت دجلة زيادة عظيمة لم يُعهد مثلها"⁽⁵⁾، وانبثق بئق بنواحي الانبار واجتاح الماء القرى فأغرق الناس والحيوانات وانصب " الماء في الصراة إلى بغداد ودخل الشوارع من الجانب الغربي من بغداد وغرق شارع الانبار"⁽⁶⁾، وتساقطت الدور والأبنية

(1) الياسرية: موضع من متفرجات بغداد على نهر عيسى، أنظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص 616.

(2) بَنَقُ: كسر سده لفيض منه الماء، الجمع بئوق: موضع الكسر من الشط، أنظر: المنجد في اللغة، ط 28، دار المشرق، بيروت، (د.ت)، ص 26.

(3) أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ج 9، ص 667.

(4) ذراع البريد هي عين الذراع الشرعية التي يبلغ طولها 875/49سم، أنظر: فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة عن الألمانية: كامل العسلي، عمان، 1970م، ص 84؛ ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستانتسوماس وشركاؤه، القاهرة، (د.ت)، ج 3 ص 157.

(5) أصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أخبار الرازي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 إلى سنة 333 هـ من كتاب الأوراق، عني بنشره: ج. هيورث. دن، دار المسيرة، بيروت، 1979م، ص 140.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 6 ص 300.

وانقطعت القنطرتان العتيقة والجديدة عند باب البصرة وبلغت زيادة الماء تسعة عشر ذراعاً⁽¹⁾، وفي سنة 329هـ / 940م زاد نهر الفرات زيادة غرقت هيت وسقط سورها وغرقت محال بغداد وهدمت القنطرتين بالصراة وسقطت الدور التي عليها، وغرقت العباسية ودخل الماء شوارع بغداد⁽²⁾، أما في سنة 370هـ / 980م "زادت دجلة والفرات وانفجر بئق وسقطت قناطر الصراة فوقعت القنطرة الجديدة في نصف ذي القعدة، ووقعت العتيقة بعدها"⁽³⁾، وقد "شهدت السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فيضانين جارفين"⁽⁴⁾، وغرقت بغداد سنة 401هـ / 1010م بفيضان نهر دجلة وبلوغها ذروة الخطر وغُمرت مدينة بغداد وملحقاتها وجميع النواحي الجنوبية وركب السكان السفن بغية النجاة وهدم الماء زهاء ألف دار من دور بغداد⁽⁵⁾، وفي سنة 450هـ / 1058م "فاضت دجلة إحدى وعشرين ذراع علو وغرقت بغداد"⁽⁶⁾ أما في سنة 459هـ / 1066م "فاضت دجلة ثلاثين ذراعاً وغرقت بغداد وركبوا السفن وهدم

(1) الدوري، تقي الدين عارف، عصر إمرة الأمراء في العراق 324 - 334 هـ / 936 - 946م دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية، مطبعة أسعد، بغداد، 1975م، ص 290.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج 6 ص 318.

(3) العلي، بغداد مدينة السلام، مج 2 ص 14.

(4) الأعظمي، عواد مجيد، تاريخ الري في سهول الرافدين من عصر صدر الإسلام حتى

نهاية العهد العباسي، دار الحرية، بغداد، 1985، ص 70.

(5) الصوفي، أرض السواد، ص 76-77.

(6) العمري، ياسين أفندي، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره: محمد

صديق الجليلي، مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1940م، ص 7.

مائة ألف دار كلها⁽¹⁾، وفي سنة 478هـ / 1085م فاضت مياه دجلة فأغرقت أكثر البيوت في تلك السنة⁽²⁾، وكان الفيضان الذي حدث سنة 499هـ / 1105م أدى إلى إزعاج الناس وهلاك الغلاة الزراعية⁽³⁾، وفي ربيع سنة 502هـ / 1108م فاض دجلة من جديد وقطع الطرق وغرقت الغلاة الشتوية والصيفية مما أدى إلى حدوث غلاء عظيم⁽⁴⁾، فضلاً عن غرق طرق بغداد⁽⁵⁾، وفي سنة 539هـ / 1144م حصل فيضان عارم وطغى الماء " خلف المحال فقلب في الخندق أظاهري والصراة ونهر عيسى ورمى قطعة من قنطرة باب البصرة"⁽⁶⁾، أما في سنة 554هـ / 1159م عندما غرقت بغداد⁽⁷⁾، وأحاط الماء بالسور الكبير في الجانب الشرقي من المدينة وإنثلت منه ثلج عجز عن سدها فتهدم معظم محال بغداد⁽⁸⁾، ثم "عاد في سنة 564هـ / 1168م فخرّب مواضع كثيرة"⁽⁹⁾

(1) العمري، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، ص 8.

(2) شندب، محمد حسين، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري 467 - 512 هـ، دار النفائس، بيروت، 1984م، ص 54.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج 9 ص 146.

(4) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966، ج 10 ص 470؛ الحسيني، عمران بغداد، ص 78.

(5) الصوفي، أرض السواد، ص 78.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج 10 ص 247؛ العلي، بغداد مدينة السلام، مج 2 ص 138.

(7) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، حيدر آباد، 1951م، ج 8 ص 232.

(8) سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، ق 1 ص 303.

كثيرة⁽¹⁾ ، كما غرقت بغداد سنة 569هـ / 1173 م⁽²⁾، حيث توالى الأمطار فخربت المساكن وكثر الهدم في بغداد⁽³⁾ ، وزادت دجلة ووصل الماء في أشد فيضائه إلى حدود اثنتين وعشرين ذراعاً⁽⁴⁾ ، ووصل إلى سور بغداد العتيق الذي الذي بناه الخليفة أبو جعفر المنصور (136 - 158 هـ - 754 - 775 م⁽⁵⁾) ، وغرق الجانب الغربي من بغداد بانكسار سد قبين⁽⁶⁾ مما أدى إلى أن ينقلب الماء إلى خندق طاهر بن الحسين والصراة ونهر عيسى وأن يهدم قطعة من قنطرة باب البصرة⁽⁷⁾، وعلى إثر ذلك الفيضان كثر النزير بدار الخلافة⁽⁸⁾، ودخل نزير الماء من الحيطان فملأ النظامية والتنشية ومدارس أبي النجيب وقيصر وجميع الشاطئات ثم وصول النزير إلى رباط أبي سعد الصوفي فهدمت فيه مواضع وإلى درب السلسلة ومن هذه المواضع ما وقع جميعه ومنه ما

-
- (1) ابن الجوزي، مناقب بغداد، تصحيح وتعليق: محمد بهجة الأثري البغدادي ، مطبعة دار السلام، بغداد، 1342هـ، ص 34.
- (2) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص 34 ؛ عماد عبد السلام رؤوف، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، 2002م، ص 44.
- (3) الصوفي، أرض السواد، ص 79.
- (4) عواد، صور مشرقة، ص 122.
- (5) العلي، بغداد مدينة السلام، مج 1 ص 308.
- (6) قبين: اسم أعجمي لنهر وولاية بالعراق. أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج 4 ص 309.
- (7) جواد، دليل خارطة بغداد، ص 89.
- (8) العلي، الدواوين والوزارة مراكزها في العهود العباسية، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، السنة 1979، ص 140.

(أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي)

د.هيفاء سعدون مجيد

أ.عبدالرحمن موسى حسين محمود

تَضَعُصَع⁽¹⁾، وتعرض المارستان العضدي للغرق أيضاً حيث "دخل الماء إلى المارستان

وعلا فيه ورمى شبابيك من شبابيكه الحديد فكانت السفن تدخل من الشبابيك إلى ارض المارستان ولم يبقى منه ومن يقوم بمصلحته إلا المشرف على الحوائج..... ورقى المرضى إلى السطح"⁽²⁾، وذكر أنه في سنة 590هـ/ 1193م زادت دجلة ووصل الماء إلى سور بغداد العتيق الذي بناه المنصور⁽³⁾، أما في سنة 604هـ/ 1207م " زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل الماء في خندق بغداد من ناحية كلواذا فخيف على البلد من الغرق" 74⁽⁴⁾، وفي سنة 614هـ/ 1217م زادت دجلة⁽⁵⁾، زيادة عظيمة لم يكن مثلها في قديم الزمان وأشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة أعيانا لأمرأ وجمعوا جمعاً عظيماً من العامة وغيرهم لعمل القورج⁽⁶⁾ وقد قلق الناس لذلك وانزعجوا وعابنوا الهلاك

(1) رؤوف، مدارس بغداد في العصر العباسي، مطبعة دار البصري، بغداد، 1966م، ص 49.

(2) العلي، بغداد مدينة السلام، مج 1 ص 350.

(3) العلي، نفسه، مج 1 ص 308.

(4) الغساني، الملك الأشرف، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، 1975م، ص 323.

(5) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص 34.

(6) القورج: نهر بين القاطول وبغداد، منه يكون غرق بغداد كل وقت تغرق، أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج 4 ص 412؛ وكانوا يجتهدون في سده وإحكامه بغاية جهدهم وإذا زادت دجلة بثقة فأغرق ما حول بغداد كله، أنظر: البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد

وأعدوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/ 1180-1225م) بنفسه متألماً مشجعاً الناس على درئه مخاطباً إياهم بقوله: (لو كان يُفدى بمال أو غيره لفعلتُ ولو دُفِعَ بحرب لفعلتُ، ولكن أمر الله لا يرد)⁽¹⁾، وحثهم على العمل وضرب الفيضان كثير من الجانب الغربي وغرق مشهد الإمام أبي حنيفة وبعض الرصافة وجامع الخليفة المهدي (157 - 169 هـ - 775 - 785م) وقرية الملكية والكشك وانقطعت الصلاة في جامع السلطان وتهدم أكثر الجانب الغربي ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة أحمد بن حنبل والحريم الطاهري وبعض باب البصرة والدور التي على نهر عيسى وأكثر محلة قطفتا⁽²⁾، "ودام سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ثم نقص الماء وبقيت بغداد من الجانبين تلولاً لا أثر لها"⁽³⁾، وزادت دجلة سنة 651هـ/ 1253م زيادة عظيمة غرق بها كثير من مزارع بغداد وغيرها⁽⁴⁾، وفي سنة 652هـ/ 1254م "غرقت بغداد بزيادة دجلة وخلق كثير هلك وركب الخليفة المستعصم بالله (640-656هـ/ 1242-1258م) في مركب في أزقة بغداد"⁽⁵⁾، وعندما زادت مياه دجلة والفرات وحدث فيضان سنة

الحق، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد بجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1955م، ج 3، ص 1132.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج 12 ص 332.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج 12 ص 332؛ الحسيني، عمران بغداد، ص 86-87.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8 ص 582.

(4) ابن الفوطي، نفسه، ص 267.

(5) العمري، غرائب الأثر، ص 10.

(أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي)

د.هيفاء سعدون مجيد

أ.عبدالرحمن موسي حسين محمود

654هـ/ 1256 م⁽¹⁾ فحصل " غرق عظيم حتى دخل الماء إلى بغداد وأحاط بسورها ووصل إلى الشرفات"⁽²⁾، وارتفعت الأسعار نتيجة الفيضان⁽³⁾، وغرقت مسناة⁽⁴⁾، فآثر ذلك على نشاط التداول النقدي بسبب تضرر الفلاحة.

2. الغلاء:

تعتبر الفلاحة العنصر الأساسي في حدوث الغلاء وانهيار التداول النقدي في العراق ، حيث ذكر المقرئ أن الغلاء والرخاء مازالا يتعاقبان في جميع البلدان والأقطار منذ بدء الخليقة⁽⁵⁾، لكنها تتفاوت في نطاقها الجغرافي وأسبابها وتوقيت حدوثها، والآثار الاقتصادية والاجتماعية التي خلفتها من مكان إلى آخر عبر التاريخ، والعراق إحدى هذه البلاد التي شهدت مجاعات وأوبئة طوال العصور العباسية وتعددت أسبابها وكان تأثيرها على المدينة في مختلف النواحي، ففي سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م) تعرضت بلاد العراق للمجاعة وارتفاع الأسعار وذلك بسبب الفيضان الذي حدث في السنة نفسها، فارتفعت الأسعار

(1) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص 34.

(2) الأزدي، تاريخ، ج2، ص363.

(3) الجبوري، أحمد إسماعيل عبد الله، الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على الحياة الاجتماعية في منطقة ديالى من (١٣٢-٨٠٠هـ/ ٧٤٩-١٣٩٧م)، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ٢٠٠٨، مج8، ص١٩٢.

(4) مسناة: هي سد بينى لحجز ماء السيل أو النهر به مفاتيح للماء تفتح على قدر الحاجة. أنظر: بن هادية، علي وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، تقديم: محمود السعدي، ط2، تونس، 1980م، ص 1074.

(5) المقرئ، أغاثة الأمة، ص 1.

وعانى الناس من قلة الغذاء⁽¹⁾، واستمرت المجاعة إلى سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) وشملت مناطق ومدن أخرى إذ ذكر الأزدي انه في هذه السنة: "ارتفع السعر وغلا بالموصل وسائر بلاد الجزيرة والبصرة والكوفة حتى بلغ الكر نيفا وثلاثة آلاف درهم... وكان لا يجتري أحد أن يظهر نموذج الطعام، وإنما يخرج الرجل الشيء في كفه فيبيعه سرا، وربما كاله ليلا خوفا من الناس والمجاعة التي كانت"⁽²⁾، وقد أشار النص بان الأمور قد وصلت إلى غاية السوء وان الأسعار ارتفعت كما ذكر الأزدي حتى بلغ الكر نيفا وثلاثة آلاف درهم، ويذكر احد التجار المواصله وهو الحسين بن كميت بن بهلول الموصلية (٢٩٤هـ/٩٠٦م) المحدث التاجر نقلا عن أبيه انه قال: "اشتريت جريب الحنطة بالموصل سنة ٢٠٧هـ بمائة وعشرين درهم"⁽³⁾

ويبدو كذلك أن تأثير هذه المجاعة كان على التداول النقدي من خلال حركة البيع والشراء أيضا، التي أصبحت مقتصرة على التجار وأصحاب الأموال وان شرائهم كان محدودا مما أثر على اقتصاد المدينة، وهذا يدل على إن المدينة كانت قسمين قسم من تجار والملاك، وقسم من الفقراء الذي لا يجد ما يسد به رمقه، وبذلك فان حدوث الفيضان وإهمال وسائل الري يؤدي إلى ارتفاع

(1) الأزدي، تاريخ، ج2، ص362-363.

(2) الأزدي، تاريخ، ج2، ص363.

(3) الأزدي، تاريخ، ج2، ص٢٦٣.

الأسعار⁽¹⁾، وقد استمرت أسعار الطعام مرتفعة خلال سنوات (٢٠٦-٢٠٩ هـ/٨٢١-٨٢٤ م)⁽²⁾.

(1) الياس، عبد الوهاب خضر، ظاهرة رخص الأسعار في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ/٧٥٣-٧٧٤ م)، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، ٢٠٠٨ م، مج ٧، ع ٤، ص ١٧٦.

(2) الأزدي، تاريخ، ج ٢، ص ٣٦٦.

كما حدث غلاء سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) وارتفعت الأسعار أيضا، إذ ذكر ابن الأثير انه في هذه السنة: "كان بالبلاد غلاء شديد وكان أكثره بالموصل، فبلغ الكر من الحنطة ألفا ومائتي درهم، والكر من الشعير ثمانمائة درهم" ⁽¹⁾، ويبدو أن سبب هذا الغلاء هو فيضان سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م) ⁽²⁾، كما أن الغلاء أدى إلى حدوث مجاعة قاسية على أهل الموصل، مما اضطر أهلها أن يفرروا إلى الشام ووسط العراق خوفا من الموت ⁽³⁾.

3. الحشرات:

وتعتبر الحشرات نمط من أنماط حدوث المجاعات التي أثرت على التداول النقدي سببه الجراد، كما حدث سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م) حيث شهد العراق غلاء فاحشا سببه ظهور الجراد فيها الذي بقي انتشاره أيام مما أدى إلى تلف المحاصيل الزراعية وارتفاع سعرها إذ أثر الجراد في الغلات الزراعية بشكل كبير، ويبدو أن مثل هذه الموجات تؤثر في الأوضاع الاقتصادية وبالتالي ينعكس ذلك على الأوضاع اليومية والاجتماعية لكن آثارها لم تكن بمستوى آثار المجاعة التي استمرت خلال سنوات (٢٠٦-٢٠٩هـ/٨٢١-٨٢٤م)، كما ظهر الجراد سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م)

(1) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٦٧.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٩٠.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٦٧.

وفتك بالمزروعات التي لم يظهر منها إلا القليل بسبب قلة الأمطار في تلك السنة مما أدى إلى ارتفاع المواد الغذائية وحدوث مجاعة⁽¹⁾.

4. قلة الأمطار والمياه:

إن قلة سقوط الأمطار وانعدامها في بعض السنوات تؤدي إلى حدوث مجاعات التي اثرت على التداول النقدي ، كما حدث في سنة (١٠٣١هـ/١٠٣١م) غلاء شديدا وزادت الأسعار في العراق بسبب انحباس الأمطار، وتلف الغلات⁽²⁾، وفي سنة (١٠٤٧هـ/١٠٤٧م) حدثت مجاعة في العراق فقلت المواد الغذائية بالأسواق بشكل كبير تكاد تكون معدومة وإنهار التداول النقدي، مما أضطر الناس إلى أكل الميتة ويبدو أن سبب ذلك، هو انعدام الأمطار في هذه السنة أو العام الذي قبلها، مما أدى إلى حدوث وباء شديد قضى على كثير من الفلاحين مثل ما ذكر ابن الجوزي لكنه عرض أخبار بغداد⁽³⁾، لكن رواية ابن الأثير كانت نسبيا وافية⁽⁴⁾ أما تأثير هذه المجاعة في العراق فإنها أهلكت كثير من الناس، كما ارتفعت أسعار بعض المواد الغذائية التي يحتاجها المرضى فبلغ المن⁽⁵⁾ من الشراب بنصف دينار، ومن اللوز خمسة عشر

(1) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ١٠، ٢٤٧-٤٤٢.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٠٥.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٦٩.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٠٥.

(5) احد أنواع المكايل يساوي رطلين أو ٨١٦ غم، ينظر: هنتس، المكايل، ص ٤٥-٤٦.

قيراط⁽¹⁾، والرماننة بقيراطين، والخيارة بقيراط وغيرها من المواد ⁽²⁾، واستمرت هذه المجاعة حتى سنة (١٠٤٨هـ/١٤٤٠م)⁽³⁾.

وفي سنة (١١٢٤هـ/١٥١٨م) حصلت مجاعة بسبب ارتفاع الأسعار وعم القحط في الموصل والجزيرة وديار بكر وكثير من البلاد ⁽⁴⁾، وذكر ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠) سبب هذه المجاعة والغلاء انه "في شتوة هذه السنة احتبس الغيث... في كانون وكانون وأكثر شباط وتلف الزرع" ⁽⁵⁾ مما أدى إلى قلة الأقوات وغلاء الأسعار ودام ذلك أكثر من سنة حيث استمرت المجاعة إلى سنة (١١٢٥هـ/١٥١٩م)⁽⁶⁾، إن وقوع العراق بهذه الظروف هو ناتج عن غياب الاهتمام بالري أو إن اعتماد الزراعة في المدينة، لاسيما محاصيل الحبوب على مياه الأمطار، وبذلك فان عدم سقوطها خلال الشتاء والربيع قد يؤدي إلى قلة الناتج الزراعي، أو انعدامه فتدخل المدينة في نمط المجاعة التي تتزامن مع عدم وجود ما يخزن من المحاصيل وتزايد الحركة السكانية المحلية والإقليمية.

(1) وهو وزن يختلف حسب المدن والأقاليم، ففي العراق يساوي القيراط الواحد حوالي 3.25

م، ينظر: هنتس، المكابيل، ص ٤٤.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ١٢٣.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٨٦.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٣٠.

(5) ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ٢١٢.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٢٣٠.

5. سوء الطقس

جاءت سوء أحوال الطقس بنتيجة عكسية على التداول النقدي بسبب تأثيره على أعمال الفلاحة , حيث أن التقلبات الجوية وموجات ارتفاع درجات الحرارة أو انخفاضها وهبوب الرياح، من أهم العوامل التي تؤدي إلى حدوث جفاف أو تلف المحاصيل الزراعية، وبالتالي فإن ذلك له آثار اقتصادية واجتماعية وأحيانا سياسية، في حين أن ذكر أخبار سوء الطقس تأتي في كتب التاريخ من باب العبرة والموعظة والحدث النادر، أكثر من كونها أسباب لأحداث سياسية أو اقتصادية، وأول إشارة وردت عن سوء الطقس في الموصل، كانت قد ذكرت في المصادر⁽¹⁾، إذ تعرضت هذه المدينة سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م) لهبوب رياح قوية لم تشهد الموصل مثلها واستمرت حوالي شهرين حيث ذكر الأصفهاني "أصاب الناس ريح شديدة وسموم لم يعهد قبلها مثلها، فدام ذلك واتصل نيفا وخمسين يوما، ابتداء في اليوم الثالث من حزيران إلى آخر يوم من تموز... فما مرت ببشر ولا دابة ولا شجرة ألا أهلكتها..."⁽²⁾، يظهر إن هذه الرياح كانت في فصل الصيف، واستغرقت عدة أيام، مما كان له تأثير على التداول النقدي من خلال الجانب الاقتصادي، حيث منعت الناس من الانتشار

(1) ابن الأثير، الكامل، ج9، ص ٤٧١-٤٥٧.

(2) الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط٣، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٤٤-١٤٥؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، الأريج في المواعظ والتواريخ، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١١٠؛ السيوطي، تاريخ، ص ٣٤٧.

في الطرقات، وعطلت الأسواق عن الباعة، وحالت بين أهل القرى والمدينة لحمل الميرة والغذاء، فضلا عن هلاك كثير من المحاصيل الزراعية الصيفية التي صادف زرعها خلال شهري حزيران وتموز.

• العوامل البشرية

مثلت العوامل البشرية تأثيرا كبيرا في التداول النقدي وذلك من خلال

معاناه اعمال الفلاحة من تلك التعوامل التي تمثلت في الثورات ومنها:-

1. ثورة الزنج

وهم طائفة من العناصر السوداء جلبوا من سواحل إفريقيا الشرقية القريبة من بلاد العرب، كزنجبار وتنجانيقا وغيرها إلى جنوب العراق وتحديداً إلى منطقتي البصرة وواسط التي كانت تشتهر بالزراعة⁽¹⁾، وتعرف أرضها بالسود لخصوبتها، واعتمد عليهم ملاك الأرض وأصحاب الإقطاعات في الزراعة، وإصلاح الأراضي التي تحتاج إلى إصلاح، كما كان أسيادهم يجبرونهم علي العمل في الأعمال الدنيئة كتطهير الأنهار، وتنظيف المجاري، وكانوا يقومون بهذه الأعمال الشاقة ولا يجدون الرعاية أو الشفقة من سادتهم، بل أن هؤلاء الزوج لم يكونوا يلقون من الأجر شيئا⁽²⁾، وإنما كانوا يحصلون علي القليل من الطعام فقط، وبالجمل لم يكن سادتهم يعاملونهم المعاملة التي أمر بها الإسلام

(1) فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط2، مطبعة المثني، القاهرة، 1977م، ص147.

(2) السيد أحمد إبراهيم حمود: الدولة العباسية بين أسس بنائها وأسباب فنائها، العصر العباسي الأول، ج1، ط1، مطبعة دار الرسالة، 1986م، ص21.

ولذلك شعر هؤلاء الزوج بالظلم والاضطهاد من سادتهم⁽¹⁾، وكثيرا ما كانوا يتمنون الثورة لتغيير هذا الواقع المرير الذي يعيشونه، وإذا عرفنا أن عدد هؤلاء الزوج قد وصل إلي خمسة عشر ألف إنسان، أدركنا أنهم يمكن أن يشكلوا قوة لا يستهان بها⁽²⁾، واثروا الزنج أيضا على التداول النقدي من خلال النقود التي قاموا بسكها وغرقوا بها الأسواق في العراق⁽³⁾.

2. ثورة القرامطة

ونسبت لرجل يعرف بـ (كرميته) أو (كرمية) فسمي نفسه نسبة إلي صاحب الدار الذي مكث فيه⁽⁴⁾، أو نسبه إلي كرامة في شمالي السودان في

(1) محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ط3، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، 1921م، ص421.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص34-35؛ فيصل السامر: ثورة الزوج، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2000م، ص19-23.

(3) عاطف منصور محمد: إضافات جديدة لنقود صاحب الزنج (255-270هـ/869-883م)، مجلة أبجديات، حولية سنوية تصدر عن مكتبة الإسكندرية، العدد الخامس، 2010م، ص267-280؛ فرج الله أحمد يوسف: نقود الخارجين على الخلافة العباسية في شرق العالم الإسلامي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص21-26.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م)، القرامطة، تحقيق: محمد الصباغ، منشورات المكتب الإسلامي، (د،م/د،ت)، ص39؛ الزبيدي، عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني، كتاب قرة العيون بإخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، المطبعة السلفية، القاهرة (د،ت)، ص166؛ تامر غالب عارف، القرامطة أصلهم -نشأتهم- تاريخهم-حروبهم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص32.

الصحراء الأفريقية، أي أن القرامطة أصلهم من السودان والزنيج⁽¹⁾ آخر، وسمي أتباع حمدان بالقرامطة⁽²⁾، ويعود الفضل له في تأسيس فرقة قرامطة العراق، وركز في نشر دعوته علي المناطق الزراعية من وسط العراق وجنوبه وحصل علي نجاح كبير واسع بين الفلاحين الذين عانوا كثيراً من وطأة الضرائب الثقيلة الملقاة علي كاهلهم وعاد ذلك بالسلب على التداول النقدي ، فضلاً عن المعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها من عمال الدولة وموظفيها في جمع تلك الضرائب وجشعهم⁽³⁾، ومن ملاكي الأراضي (الإقطاعيين). ثم انضم إلي دعوته العديد من الحرفيين والصيادين من العرب والزنوج والأنباط والأكراد⁽⁴⁾، فكان مركز دعوته في البداية في واسط، فقد كان أهلها فقراء مظلومين لذا استجابوا لدعوته وانخرطوا في صفوفها، ثم عمد حمدان القرمطي إلي تغيير مركز دعوته فنقلها إلي مكان قريب قرب الكوفة ويماه (دار الهجرة) واتخذها منطلقاً لبث دعوته،

(1) فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطي، دار واسط للطباعة والنشر، ط2، بغداد، 1985م، ص86 .

(2) اليماني (محمد بن الحسن الديلمي بت ق8هـ)، قواعد عقائد آل محمد (الباطنية)، عرف الكتاب وقدمه للقراء: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عزت العطار الحسني، مؤسسة ومدير ومكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1950، ص34.

(3) ناجي ، عبد الجبار، دوافع وأطماع قرامطة البحرين في السيطرة علي البصرة في القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الآداب، العدد (8)، السنة(6)، جامعة البصرة (د/ت)، ص54.

(4) محمود بهجت سنان، البحرين ذرة الخليج العربي، المجمع العلمي العراقي، ط1، بغداد، 1963، ص74؛ عطية القوصي، البحرين وتجارة الدولة العباسية، مجلة الوثيقة، العدد (27) السنة (14)، البحرين، 1995، ص55.

ومركزاً تجتمع فيه مواليه الذين أيدوا دعوته⁽¹⁾، ولاسيما بعد أن أظهر الزهد والتقشف وأدعي أنه رسول المهدي المنتظر ودعا إلي إمام من آل بيت الرسول (صلي الله عليه وسلم)، فجمع الأتباع وكثر مؤيدوه من سواد الكوفة⁽²⁾، وهكذا لم يجد حمدان صعوبة في نشر دعوته في سواد الكوفة بسبب حالة الضعف والفوضى التي كانت تحيط بالخلافة العباسية⁽³⁾. وكان حمدان بن الأشعث أحد أتباع ميمون القداح⁽⁴⁾، ومن أهم الذين انضموا لدعوته عبدان⁽⁵⁾، وأو وندان، لذا فإن الحركة القرمطية في العراق ظهرت في الربع الثالث من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في سواد الكوفة ، أي أن ظهورها كان في سنة

(1) بن الجوزي، القرامطة، ص 14؛ سنان، البحرين درة الخليج العربي، ص 74.

(2) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت 310هـ/922)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1969، ج 10، ص 480؛ جاسم ياسين الدرويش، نهاية القرامطة والصراع علي السلطة قبيل قيام الإمارة العيونية، مجلة الوثيقة، العدد (37)، السنة (19)، البحرين، 2000، 128.

(3) محمد أرشيد العقيلي، حركة القرامطة في البحرين وصلتها بالدعوة الإسماعيلية، ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1989، ص 284.

(4) المقرئزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت 854هـ/1441م)، اتعاض الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج 1، ص 120-121؛ سعدي محمد علي، أثر حركة قرامطة البحرين علي الحج، مجلة آداب الرافدين، العدد (49)، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2008، ص 255.

(5) بندلي جوزي، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، دار الروائع، بيروت (د.ت)، ص 164-165.

(278هـ / 891م)⁽¹⁾، وتمكن حمدان من تنظيم الحركة وأرسل الدعاة إلى أماكن عدة في البلاد.

3. ثورة الزط⁽²⁾

وكانت من أكثر الحركات والثورات تأثيراً على التداول النقدي، حيث كانت منطقة البطائح جنوبي العراق من أشد المناطق ملائمة لثورتهم التي تعتبر من أكثر الأماكن انتشاراً بالفلاحة والفلاحين، كما كانت ملائمة لحياتهم؛ لأنها - إلى حد كبير - تشبه البيئة التي جاءوا منها في الأصل⁽³⁾، حيث ترجع بداية

(1) الجويني (عطا ملك، 681هـ/1282م)، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي في تاريخ الخوارزميين والإسماعيلية والخانيين، نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية: محمد التونجي، دار الملاح، 1985، ج2، ص 280-281.

(2) الزط: بضم الزاي - أو فتحها أحياناً - وتشديد الطاء المهملة، مُعرب (جت) بالهندية - بالفتح - والقياس يقتضي فتح معربه أيضاً، وهذا ما كان فعلاً في بعض البلدان العربية، مثل دمشق. والسبب في إبدال الجيم زائاً أنه ليس في اللغة العربية كلمة يجتمع فيها الجيم والتاء، ولا الجيم والطاء متتابعين، وإذا كان قلب الجيم زائاً لضرورة لغوية، يفسر الأمر، فلدينا تفسير آخر لهذا القلب، هو أن الجت أنفسهم - شأنهم شأن سائر أهل السند - كانوا ينطقون الجيم على نحو قريب من نطق الزاي. انظر: ابن منظور: لسان العرب، المجلد السابع، مادة (زطط)، ص 308؛ الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، ت 817هـ): القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط2، 1987م، ص 863؛ أحمد مختار العبادي: حركة الزط في العصر العباسي، مقال بمجلة "أوراق" التي يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة، 1979، ص 10؛ عبادة عبد الرحمن: الزط والأصول الأولى لتاريخ العجر، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1994م، ص 34.

(3) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت 255هـ): البخلاء، تحقيق طه الحاجر، دار المعارف، القاهرة، 1119م، ص 322.

تمرد الزط على الدولة العباسية إلى عهد الخليفة المهدي، (١٥٨ - ١٦٩هـ) عندما كانوا بموطنهم في إقليم السند؛ إذ واصل المهدي سياسة أبيه المنصور في إحكام السيطرة على السند، وتصدت لقواته جماعات الزط هناك، تؤيدهم - دون شك - الممالك الهندية التي وراءهم، فهاجموا الحاميات الإسلامية في مواقعها المتقدمة في حوض السند الأدنى وتدهور التداول النقدي بذلك، وفي المنصورية الواقعة في دلتا النهر، ويبدو أن هذه الهجمات كانت شديدة مؤثرة؛ إذ يروى أن المهدي بذل أكثر من ثمانية ولاة على تلك المنطقة، لعل أحدهم يستطيع تهدئة الأحوال المضطربة فيها^(١)، وكانت الأوضاع الاقتصادية لزط السند تشبه في سوائها أحوال إخوانهم الذين نزحوا إلى جنوبي العراق في منطقة البطائح، فكلاهما أنهكته ظروف القحط والجوع وارتفاع الأسعار^(٢)، ولعل هذا ما يفسر استمرار تمردهم على الولاة زمن الخليفة المهدي وبعده، ربما طمعاً في تحسين أوضاعهم المعيشية.

أما زط البصرة والبطائح، وكانوا في أوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة، منذ أحضرهم الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق - فكانوا يقنعون باليسير من العيش، الذي يوفره لهم ما يحصلون عليه من أصحاب السفن المارة بالسواحل

(١) شاکر مصطفى: دولة بنی العباس، ج ٢، ص ٢٦٥؛ محمد عبد الحفیظ المناصیر: الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط ١، ص ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٥٥٦

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٣٠٧؛ حسين علي حجي المسري: مرجع سابق، ص ١٧٣.

القريبة، وكانوا - أحياناً - يعمدون إلى اختلاس أشياء بسيطة من المجتازين، حتى عُرف عنهم "أنهم كانوا يسألون الشيء الطفيف، ويصيبون غرة من أهل السفينة، فينالون منها ما أمكنهم اختلاسه"⁽¹⁾.

الخاتمة النتائج

ومن خلال دراسة موضوع البحث توصلت لعدة نتائج منها:-

- شكلت الفلاحة تأثيراً كبيراً على عملية التداول النقدي خلال العصر العباسي وخصوصاً العراق لاعتبارها مقر الخلافة العباسية.
- ساهمت الفلاحة في ازدهار التداول النقدي سواء داخل مدن العراق في العصر العباسي أو خارجة من خلال عمليات التبادل التجاري.
- أثرت الثورات ومنها الزنج والزرط والقرامطة على عملية التداول النقدي ، وذلك لهروب الفلاحين من أراضيهم خوفاً من بطش تلك الثورات ، بجانب قيام قادة تلك الثورات بسك نقود تضاهي النقود العباسية ، فاصبح الفلاحين في حيرة من التعامل بأى من تلك النقود.
- أثرت العوامل الطبيعية في عملية التداول النقدي وانتهيارها نتيجة الكوارث جراء تلك الظواهر التي هلك الفلاحه والفلاحين، فكانت خراباً على منتجاتهم وماشيتهم ومحاصيلهم.

(1) البلاذري: فتوح البلدان: ص ٥٢٣.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم)، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت، 1966م.
2. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م)، القرامطة، تحقيق: محمد الصباغ، منشورات المكتب الإسلامي، (د،م/د،ت).
- الأريج في المواعظ والتواريخ، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار البيان العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973م.
- مناقب بغداد، تصحيح وتعليق: محمد بهجة الأثري البغدادي ، مطبعة دار السلام، بغداد، 1342هـ.
3. ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل ، لندن، ١٨٨٤م.
4. ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، القاهرة، (د.ت).
5. ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر، كتاب بغداد، صححه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، نشره وراجعته: السيد عزت العطار الحسيني ،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1949م.

6. أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
7. الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ط3، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.
8. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، أخبار الرازي بالله والمتقي لله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 322 إلى سنة 333 هـ من كتاب الأوراق، عني بنشره: ج. هيورث. دن، دار المسيرة، بيروت، 1979م.
9. البغدادي، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد بجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1955م.
10. ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري)، لسان العرب، ط1، المجلد الحادي عشر، منشورات محمد بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م.
11. ابن هادية، علي وآخرون، القاموس الجديد للطلاب، تقديم: محمود السعدي، ط2، تونس، 1980م.
12. ابن يعيش (موفق الدين أبي البقاء): شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ/2001م.
13. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، كتاب الفتن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، د.ت.

(أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي)

د.هيفاء سعدون مجيد

أ.عبدالرحمن موسى حسين محمود

14. الثعالبي، لطائف المعارف، تح: إبراهيم الأنباري وحسن الصيرفي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1379هـ/1960م.
15. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ): البخلاء، تحقيق طه الحاجر، دار المعارف، القاهرة، ١١١٩م.
16. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، ت (255هـ/868م). كتاب التبصر بالتجارة، نشر وتعليق السيد حسن حسني عبد الوهاب، ط2، القاهرة، 1354هـ/1935م.
17. الجويني (عطا ملك، ت 681هـ/1282م)، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي في تاريخ الخوارزميين والإسماعيلية والخانيين، نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية: محمد التونجي، دار الملاح، 1985م.
18. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1957م.
19. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
- الرازي، احمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مادة: (د و ل).
20. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، ط7، بيروت، 1435هـ/2014م.

21. الزبيدي، عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني، كتاب قرّة العيون بإخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، المطبعة السلفية، القاهرة (د،ت).
22. الزبيري (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
23. سعدي محمد علي، أثر حركة قرامطة البحرين علي الحج، مجلة آداب الرافدين، العدد (49)، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2008م.
24. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1952م.
25. الصنعاني (محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكلاني): سبل الإسلام، دار الحديث، القاهرة، (ب.ت).
26. الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت310هـ/922)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1969م.
27. الغساني، الملك الأشرف، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، 1975م.
28. الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، ت ٨١٧هـ): القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ٨٦٣؛

29. الكرخي (أبو بكر محمد بن الحسن): كتاب أنبساط المياه الخفية
، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الدكن، 1940 م.
30. المرزباني، محمد بن عمران: معجم الشعراء، بيروت، دار الكتب
العلمية، ط2، 1402هـ/1982م.
31. المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة
الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٦م.
32. المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر
الخط والاثار الشهير بالخط المقرئزي، مكتبة الثقافة الإسلامية ، القاهرة)
د.ت).
33. المقرئزي (أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي ، ت854هـ/1441م)
، اتعاط الحنفا بإخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر
أحمد عطا، دار الكتب العلمية ،بيروت، 2001م.
34. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح،
ت284هـ/897م): كتاب البلدان، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن
رسته، تحقيق م.ج. ديه غويه، بريل، لندن، 1892م.
35. اليماني (محمد بن الحسن الديلمي ،ت ق8هـ)، قواعد عقائد آل محمد
(الباطنية)، عرف الكتاب وقدمه للقراء: محمد زاهد بن الحسن الكوثري،
عزت العطار الحسني، مؤسسة ومدير ومكتب نشر الثقافة الإسلامية، 1950.

المراجع العربية:

1. أحمد زكي بدوي ، معجم المصطلحات الاقتصادية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دارالكتاب اللبناني ، بيروت ، 1985
2. أحمد سوسة ، فيضانات بغداد في التاريخ ، مطبعة الأديب ، بغداد ، 1963م ، ق1 ص 280.
3. أحمد مختار العبادي: حركة الزط في العصر العباسي، مقال بمجلة "أوراق" التي يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة ، 1979م.
4. بندلي جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، دار الروائع، بيروت(د.ت)
5. تامر غالب عارف، القرامطة أصلهم -نشأتهم-تاريخهم-حروبهم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، 1979م.
6. تقي الدين عارف الدوري، عصر إمرة الأمراء في العراق 324 - 334 هـ / 936 - 946م دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية ، مطبعة أسعد، بغداد ، 1975م.
7. جاسم ياسين الدرويش ، نهاية القرامطة والصراع علي السلطة قبيل قيام الإمارة العيونية، مجلة الوثيقة، العدد (37)، السنة (19)، البحرين، 2000م.
8. الجبوري، أحمد إسماعيل عبد الله، الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على الحياة الاجتماعية في منطقة ديالى من (١٣٢-٨٠٠هـ/٧٤٩-١٣٩٧م)، بحث

- منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج ٨، جامعة الموصل، ٢٠٠٨م.
9. رؤوف، مدارس بغداد في العصر العباسي، مطبعة دار البصري، بغداد، 1966م.
10. ريما محمود الزيودي: نقل الأخبار وتداولها في المجتمع الإسلامي أيام الدولة الأموية، الأردن، دار يافا، ط1، 1436هـ/2015م.
11. زكي زكي زيدان: تغير القيمة الشرائية للنقود الورقية وأثرها علي الحقوق والالتزامات في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، دار الكتاب القانوني، 2009م.
12. السيد أحمد إبراهيم حمود: الدولة العباسية بين أسس بنائها وأسباب فنائها، العصر العباسي الأول، ج1، ط1، مطبعة دار الرسالة، 1986م.
13. عادل محي الدين الألوسي، تجارة العراق البحرية مع أندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1984م.
14. عاطف منصور محمد: : إضافات جديدة لنقود صاحب الزنج (255-270هـ/869-883م)، مجلة أبجديات، حولية سنوية تصدر عن مكتبة الإسكندرية، العدد الخامس، 2010م.
15. عبادة عبد الرحمن: الزط والأصول الأولى لتاريخ الغجر، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ١٩٩٤م.

16. عبدالرحمن موسى حسين: التداول النقدي في اقليم برقة خلال العصر الفاطمي (301 - 567 هـ / 913 - 1171 م)، بحث منشور بالمجلة العلمية لكلية الآداب، ، المجلد 10 ، العدد 4 ، جامعة دمياط ، مصر ، 2021م.
17. عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، بيروت، لبنان، 1974م.
18. عبد الوهاب خضر الياس، ظاهرة رخص الأسعار في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م)، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج7، ع4، جامعة الموصل، ٢٠٠٨م.
19. عطية القوصي، البحرين وتجارة الدولة العباسية، مجلة الوثيقة، العدد (27) السنة (14)، البحرين، 1995م.
20. على جمعة محمد: المكايل والموازن الشرعية ، القدس للإعلان والنشر والتسويق ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2001م.
21. العلي، الدواوين والوزارة مراكزها في العهود العباسية، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، السنة 1979م.
22. عماد عبد السلام رؤوف، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، 2002م.
23. عواد مجيد الأعظمي، تاريخ الري في سهول الرافدين من عصر صدر الإسلام حتى نهاية العهد العباسي ،دار الحرية، بغداد، 1985م.

24. عواد، ميخائيل، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1981م.
25. عوف محمد الكفراوي: النقود والمصارف في النظام الإسلامي، دار الجامعات المصرية، إسكندرية، ب.ت.
26. فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، دار واسط للطباعة والنشر، ط2، بغداد، 1985م.
27. فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط2، مطبعة المثني، القاهرة، 1977م.
28. فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة عن الألمانية: كامل العسلي، عمان، 1970م.
29. فرج الله احمد يوسف: نقود الخارجين على الخلافة العباسية في شرق العالم الإسلامي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م.
30. فيصل السامر: ثورة الزنوج، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2000م.
31. محمد أرشيد العقيلي، حركة القرامطة في البحرين وصلتها بالدعوة الإسماعيلية، ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي في العصر العباسي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1989م.
32. محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ط3، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، 1921م.

33. محمد حسين شندب، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري 467 - 512 هـ ، دار النفائس، بيروت، 1984م.
34. محمد عبد الحفيظ المناصير: الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط ١، ص ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م.
35. محمود بهجت سنان، البحرين ذرة الخليج العربي، المجمع العلمي العراقي، ط 1، بغداد، 1963م.
36. مهند نافع المختار، (الآثار الاقتصادية والسكانية للأمراض المستوطنة والمنتشرة في الأمصار الإسلامية خلال العصور الإسلامية الأولى)، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد ٥٠، جامعة الموصل، ٢٠٠٨م.
37. ناجي ، عبد الجبار، دوافع وأطماع قرامطة البحرين في السيطرة علي البصرة في القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الآداب، العدد (8)، السنة (6)، جامعة البصرة (د/ت).
38. ياسين أفندي العمري، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره: محمد صديق الجليلي، مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1940م.
39. يوسف كمال محمد ، فقه الاقتصاد النقدي ، دار القلم للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 4 ، 2002.

خريطة رقم 1 الفيضانات في العراق, نقلا عن: سوسة، أحمد، الفيضان وغرق
بغداد في العصر العباسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد العاشر، السنة
1963، ص 32

(أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي)
د. هيفاء سعدون مجيد
أ. عبدالرحمن موسى حسين محمود

خريطة رقم 2 مجارى الأنهار بالعراق في العصر العباسي

(لوحة رقم 1) درهم باسم صاحب الزنج علي بن محمد ضرب عسكر الإمام
سنة 258هـ. الوزن: 3,33 جم، محفوظ بجامعة تيوبنجن بألمانيا.

(أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي)
د. هيفاء سعدون مجيد
أ. عبدالرحمن موسى حسين محمود

(لوحة 2) درهم باسم صاحب الزنج علي بن محمد ضرب المدينة المختارة

سنة 260هـ ، محفوظ بجامعة تيوبنجن بألمانيا، رقم الحفظ EA6E5

الوزن: 2،49 جم

(لوحة رقم 3) درهم باسم صاحب الزنج علي بن محمد ضرب المدينة

المختارة 266هـ. محفوظ بجامعة تيوبنجن بألمانيا، الوزن: 3،01 جم، نقلا عن

عاطف منصور :نقود صاحب الزنج، ص 272

(أثر الفلاحة علي التداول النقدي في العراق خلال العصر العباسي)

أ. عبدالرحمن موسى حسين محمود

د. هيفاء سعدون مجيد